وكانت وفاة الشريف المذكور سنة احدى وستين وسبعماية قال ابن الخطيب القسمطيني في وفياته وفي هذه السنة يعني سنة احدى وستين وسبعماية توفي شيخنا قاضي الجماعة بغرناطة رحمه الله تعالى ابو القاسم محمد بن احمد الشريف الحسني وكتب لي بالاجازة العامة بعد التمتع بمجلسه وله شعر مدون سماه جهد المقل وله الشرح على الخزرجية في العروض واقدم عليها بعد ان عجز الناس عن فكها وكان اماما في الحديث والفقه والنحو وهو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه ولم يكن احد بعده مثله بالاندلس انتهى وقال في الاحاطة ان مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين وستماية وان وفاته سنة ستين وسبعماية وفي وفاته مخالفة للمتقدم والله اعلم وما احسن قول الشريف القاسم المترجم به

حدائق انبتت فيها الغوادي ، مروجا نورها رايقة البهار
فايكو به النعمان الا ، نسبناه الى ماء السماء

وكان للشريف ابي القاسم المذكور ابنان نجيبان احدهما قاضي الجماعة ابو المعالي والاخر ابو العباس قال الراعي في كتابه الفتح المنير في بعض ما يحتاج اليه الفقير ما نصه حكاية تتعلق بالانقطاع نسال الله تعالى العافية وقع للشريف قاضي الجماعة بغرناطة ابي المعالي بن السيد الشريف ابي القاسم الحسني شارح الخزرجية ومقصورة حازم نفع الله ببركتهم الكريم وكانت ام السيد ابي المعالي حسنية فكان شريفا من الجهتين انه كان قد ترك كتابة الوظايف والرياسات وتجرد للعبادة ولبس المرقعة وسلك طريق القوم وكان من اهل الدين والعلم والتعظيم في قلوب الناس اهل الدنيا واهل الاخرة على جانب عظيم يشار اليه بالاصابع وكان اخوه شيخي واستاذي ابو العباس احمد قاضيا ببعض الاندلس فكان اخوه ابو المعالي المذكور لا ياكل في بيت شقيقه شيا لاجل ذلك ولعيشه من خدمة السلطان وكان انا احتاج الى الطعام وهو في بيت اخيه اعطاني ١٠ دراهم من عنده اشتري له به ما ياكل واقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة ثم انه دخل يوما على الفقرا بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة وكان شيخ الفقرا بها في ذلك الوقت الشيخ ابا جعفر احمد المحدود فقال لهم يا سادتي انه كان معي قنديل استضي به فقدته في هذه الايام وما بقيت ابصر شيا فقال له الشيخ المذكور يا شريف اول رجل يدخل علينا في هذا المجلس يجيبك عن مسالتك فدخل عليهم رجل من اخيارهم من اهل الباد فسلم وجلس فقال له الشيخ ان الشريف سال الجماعة فقلت اول رجل يدخل علينا يجيبك فوقفت انت فاجبه عن مسالته فقال له ما سوالك يا شريف فقال انه كان لي قنديل استضي به ففقدته وما بقيت ابصر شيا فقال له الفقير هذا لا يصدر الا عن سو ادب اخبرنا بما وقع منك فقال له الشريف ما اعلم انه وقع مني شي غير ان المباشر فلانا طلبه السلطان للمصادرة فاستخفى منه فمررت ببابه يوما فناداني من شقة الباب يا سيدي اجعل خاطرك مع الله تعالى فقلت له اذكر الذكر الفلاني قلت وانا اظن انه امره بذكر اسمه تعالى اللطيف فانه سريع الاجابة في تفريج الشدايد والكرب نص عليه البوني في منتخبه وهو مجرب في ذلك وقد رواه لي عن بعض مشايخه السيد الشريف احمد اخوه فقال الفقير هل كان اذن لك في تلقينه قال لا قال له الفقير لا يعود اليك نورك ابدا لانك قد اسات الادب فكان كما قال فانقطع وولي بعض قضايا وعزل من بعد ذلك وخدم الملوك واكل طعامهم وحالته اولا واخرا معروفة بغرناطة نسال الله تعالى ان لا يجعلنا من المطرودين عن باب رحمته بمنه وكرمه انتهى كلام الراعي رحمه الله تعالى

رجع الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى ورضي عنه وسامحه فنقول ومن مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى الامام الرحال شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي ولد بتونس وهو محمد بن الامام المحدث محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن احمد القيسي شيخ ممتع نبيل رحال متفنن قال الخطيب ابن مرزوق وعاشرته كثيرا سفرا وحضرا وسمعت بقراته وسمع بقراتي وقرات عليه الكثير وقيدت من فوايده وانشدني الكثير فاول ما قرات عليه بالقاهرة بمسجد وقرات عليه بمدينة فاس وبظاهر قسمطينه وبمدينة بجاية وبظاهر المهدية وبمنزل من تلمسان وقرات عليه احاديث عوالي من تخريج الدمياطي وفيها الحديث المسلسل بالاولية وسلسلته عنه من طريق رواية الدمياطي بشرطه ثم قرات عليه اكثر كتاب الموطا رواية يحيى والمجلد السفر فاتممته عليه في غير القاهرة وحدثني به جماعة ومعوله على الشيخين قاضي القضاة ابي العباس بن الغماز الخزرجي وهو احمد بن محمد بن حسن والشيخ ابي محمد ابن هرون وهو عبد الله بن محمد القرطبي الطائي الكاتب المعمر الاديب بحق سماعه لاكثره على الاول وقراته بجمعه على الثاني قال الاول اخبرنا ابو الربيع بن سالم بجميع طرقه فيه منها عن ابن مرزوق وابي عبد الله بن ابي عبد الله الخولاني عن ابي عمرو عثمان بن احمد المعافري عن ابي عيسى بسنده وقال الثاني اخبرنا ابو القاسم بن بقي القرطبي اخبرنا ابو عبد الله محمد ابن عبد الحق عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بن مغيث بسنده قال شيخنا في هذا السند غريبتان احداهما اندلسي فيه اجازة والثاني ان شيوخه كلهم قرطبيون قال ابن مرزوق قلت ولا غرو انه في اتصال سماع الموطا وقراته فقد وقع لي على قلة التحصيل متصلا من طرق والله احمد وقد دونته عن قرطبي وهو ابو العباس بن العشاب قرات عليه كتاب الشفا لعياض وحدثني به عن ابي القاسم عن ابي عبد الله بن ابي القاسم الانصاري المالقي نزيل سبتة ويعرف بابن حكم وبابن اخت ابي صالح عن ابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي عن ابي جعفر احمد بن حكم عن المولف وحدثني به ايضا من قاضي الجماعة ابن ابي الربيع بن سالم عن ابي جعفر بن حكم ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته ومما رويت عنه وانشدني لابي محمد بن هرون

لا تطمعن في نفع آلك انه ، ضرب قليل النفع عند الاك
اقصص رويدك انما اعلقته ، بالال من اهل تحمل الال

ولابن هرون المذكور ايضا

اقل زيارة الاحباب ، تزدد عندهم قربا
فان المصطفى قد قا ، ل زر غبا تزدد حبا

ولابن هرون المذكور ايضا

رماني بالنوى زمني ، فشمل الانس مفترق
وليل كله فكر ، فقلبي منه محترق
وللاداب ابنا ، بحر الفقر قد غرقوا
وكل منهم وجل ، بما يلقاه او فرق
يغص بريقه منه ، في النطق اوشرق

٣٠

فقد عزت اكفهم ، فلا ورق ولا ورق ، ولطف الله مرتقب ، به العادات تنخرق

قال ابن مرزوق وشرحه الفايق لا يحصر وهو عندي في مجلد كبير وولد ابن جابر سنة سبع وسبعين وستماية واخذ على جماعة وكتب بخطه كثيرا وله معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر وله نظم حسن وتوفي بتونس سنة ٧٧٩ واخذ القراات عن ابي الزيات وغيره وترجمة الحافظ ابن جابر واسعة مشهورة وقد ذكرناه في غير هذا الكتاب باجماله ومما انشده لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض المتصوفة من شيوخه ولم يسمه قوله

هل تعلمون مصارع العشاق ، عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمايهم ، ان الشهيد لقد توى بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى ، لرايت ما يلقون غير مطاق
من كيب لا يمل بكاه ، قد احرقته مدامع الاماق
ومحرق الاحشاء اشعل نارها ، طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومولة لا يستطيع كلامه ، مما يقاسي في الهوى ويلاقي
خرس اللسان فلا يطيق عبارة ، الم الم وماله من راق
ما للمحب من المنون وقاية ، الا يجد محبوبه بتلاق
مولاي عبدك ذاهب بغرامه ، ادرك بفضلك من دماه ابقاني
اني اليك بذلتي متوسل ، فاعطف بلطفك واشفاق

وهذه الابيات اوردها رحمه الله في الروضة في العشق بعد ان حده وتكلم عليه ثم اورد عدة مقطوعات ثم ذكر بعدها هذه الابيات كما ذكر وانشد لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض اشياخه واسماه وانسيته الان

بليت من خلوة معنوية ، ارق من النجوى واحلى من السلوى
فغي ساعة في ساحة الدار وانفرى ، الا عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سال الريح شوقا اليكم ، فما جن مسراها علي ولا الوى

وقوله ايضا رحمه الله تعالى

انست بوحدتي حتى لو اني ، اتاني الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا ، اميل اليه الا ملت عنه

وقوله رحمه الله تعالى

ملك بالعزلة انك الفتى ، من طاب بالقلة في العزلة
لا يرتجي عزلة ذل ولا ، يخشى من الذلة في العزلة

ومن اكابر شيوخ ابن الخطيب رحمه الله تعالى الامام العلامة قاضي الجماعة بحضرة خلافة فاس المحروسة ابو عبد الله قال في الاحاطة محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي القرشي يكنى ابا عبد الله القاضي الجماعة بفاس تلمساني اوليته نقلت من خطه قال وكان الذي اتخذها من سلفنا قرارا بعد ان كانت لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي المقري صاحب الشيخ ابي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو ابي الخامس فانا محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ عروى الصلاة حتى انه ربما امتحن بغير شي فلم يونس منه التفات ولا استشعر منه شعور ويقال ان هذا الحنون مما ادركه من مقامات شيخه ابي مدين انتهى وكتب بعض الفضلاء على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته القرشي وهم انتهى فكتب تحته الشيخ الامام ابو الفضل ابن الامام التلمساني رحمه الله تعالى ما نصه بل صحيح نطقت به الالسن والمكاتبات والاجازات واعربت عنه الحلل الكريمة الان البلدية باسيدي ابا عبد الله والمنافسة بجعل القرشية في امام المغرب ابي عبد الله المقري وهما والحمد لله انتهى

قلت وممن صرح بالقرشية في حق الجد المذكور ابن خلدون في تاريخه وابن الاحمر في نثير الجمان وفي شرح البردة عند قوله العل رحمه الله حين ينشرها والشيخ ابن غازي والولي الصالح سيدي احمد زروق والشيخ علامة زمانه سيدي احمد الونشريسي وغير واحد وكفى بلسان الدين شاهدا مزكي وقد الف علم الدنيا ابن مرزوق تاليفا استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري وهذا بناء منه على مذهبه انه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح ذلك في شرح الالفية عند قوله ووضعوا لبعض الاجناس علم وضبط غيره وهم الاكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول الاكثر المتاخرون وهما لغتان في البلدة التي نسب اليها وهي مقرة من قرى زاب افريقية وانتقل جد منها الى تلمسان صحبة شيخه ولي الله سيدي ابي مدين رضي الله عنه

رجع الى تكملة كلام مولاي الجد في حق اوليته قال رحمه الله بعد الكلام السابق في حق جده عبد الرحمن ما صورته ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحرا بحفر الابار وتامين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذي احدهم ابو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه او يملكونه على السوا بينهم والاعتدال فكان ابو بكر ومحمد وهما اورضا نبي من جميع جهات اي وابي بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقان الصغيران بايولاتن فاتخذوا بهذه الاقطار الحوايط والديار وتزوجوا النسا واستولدوا الايما وكان التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث اليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما باحوال التجار واخبار البلدان حتى اتسعت اموالهم وارتفعت في الضخامة احوالهم ولما افتتح التكرور كورة ايولاتن واعمالها اصيبت اموالهم فيما اصيب من اموالها بعد ان جمع من كان بها منهم الى نفسه الرجال ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل بملكهم فاكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الاقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم ماربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبي عن ذلك فلما استولوا من الملوك تذللت لهم الارض للسلوك فخرجت اموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد لان بلاد الصحرا قبل ان يدخلها اهل مغرة كانت يجلب اليها من المغرب ما لا بال له من السلع فيعاوض عنه بما له بال من الثمن اي مدبر دنيا ضم جنبا الى حر وشمل ثوباه كان يقول لولا الشناعة لم ازل ابلادي تاجرا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)